كتــــــــــــاب :

"الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار" لابن زرقون الإشبيلي

ذ. إبراهيم أيت أوغوري *

لقد كرم الله المدرسة الفقهية المغربية بأن حلت الصدارة في خدمة الفقه المالكي كما وكيفا، ومن المؤسف أن يظل شطر كبير من عطاء علماء هذه المدرسة نسيا منسيا ، وبعيدا عن اهتمامات الباحثين والدارسين .

ووفاء لهؤلاء العلماء الكبار، وإيمانا مني بأهمية هذا العمل، سأقف عند أحد الكتب المهمة ، التي أسهمت بشكل بارز في إثراء المدرسة المالكية بالمغرب ؛ وأسلط الضوء على بعض جوانبه في انتظار خروجه محققا[1] ـ قريبا إن شاء الله تعالى ـ يتعلق الأمر بكتاب " الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار".

وأهمية أي كتاب ، تعود إلى عناصر كثيرة ، يمكن إجمالها في خمسة : الكاتب ، الموضوع ، الجدة أو الفائدة المضافة ، وطريقة التناول (المنهج)، والمصادر المعتمدة .

وسأحاول ـ إن شاء الله ـ في تعريفي لكتاب " الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار " أن أقف عند كل عنصر من هذه العناصر الخمسة، مختصرا الكلام في ذلك قدر الإمكان .

*ـ خريج دار الحديث الحسنية وباحث في مرحلة الدكتوراه

1 ـ يشتغل على تحقيقه مجموعة من الباحثين ، من دار الحديث الحسنية

1 ـ التعريف بابن زرقون[1] :

والذي يهمني من هذا التعريف ـ بالأساس ـ هو إبراز مكانة ابن زرقون العلمية ، لكن لا بأس أن أعرج على بعض الجوانب الأخرى من شخصيته.

هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد أحمد القوري (نسبة إلى قورين)[1] ، الإشبيلي الأنصاري المالكي، المولود عام (502هـ) بشريش.

وقد شهد له كل المترجمين ـ الذين وقفت على تراجمهم ـ بالغزارة ، والتعدد ، والمتانة في العلم، وعلو القدر في التقوى ، والنزاهة، والخلق العظيم، فهو الفقيه المبرز ، المحدث المسند ، المقرئ ، [2]والأديب البارع.. والقاضي العادل.. وله مشاركة في الطب.

ترجم له المراكشي فقال :" كان .. بصيرا بأحكام القضاء ، ماهرا في عقد الوثائق ، وقورا ، ذكيا ، رصين العقل، متين الدين ، ربانا من علم ..كثير البشر ، وطئ الأكناف، ..أحسن الناس خلقا.."[3]

قال عنه القضاعي في التكملة :" ... وجمع أيضا مصنف الترمذي وسنن أبي داوود ، وكان الناس يرحلون إليه للأخذ عنه ، والسماع منه لعلو روايته "[4].

وحلاه الذهبي في السير بقوله :" ابن زرقون الشيخ ،الفقيه، الإمام، المعمر، المقرئ ، بقية السلف"[1].

---

[1] ـ انظر في ترجمته التكملة لكتاب الصلة (2/ 64) لأبي عبد الله القضاعي ، تحقيق عبد السلام الهراس ط دار الفكر بيروت س 1995م . وكتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (02080-2030/6) لأبي عبد الله الأنصاري المراكشي ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ـ بيروت . والديباج المذهب (286) دار الكتب العلمية ، بيروت . وسير أعلام النبلاء (147/21 – 148) للذهبي ، تحقيق الأرناؤوط ، والعرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ـ ط1413هـ . وتكملة الإكمال (578/4) لأبي بكر محمد البغدادي ، تحقيق عبد القيوم عبد الربيب ، جماعة أم القرى ، مكة ط 1 س 1410هـ . والوفيات (ص : 295) للقسنطي تحقيق عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة بيروت س 1978 ط 2 . ومعجم البلدان لياقوت الحموي (412/4) دار الفكر بيروت .

[1] ـ قورين قرية من قرى اشبيلية. انظر "معجم البلدان" لياقوت الحموي ، ج 4 ، دار الفكر بيروت ، (4/ 412) .

[2] ـ الذيل والتكملة (204/6).

[3] ـ نفسه .

[4] ـ تكملة لكتاب الصلة لأبي عبد الله القضاعي ، (64/2) تحقيق عبد السلام الهراس، ط دار الفكر بيروت ، س 1995م.

[1] ـ " سير أعلام النبلاء " (21 / 147) .

وقال عنه صاحب " الديباج المذهب" :" ولي قضاء شلب ، وسبتة، فحمدت سيرته، ونزاهته، وكان (...) حافظا للفقه مبرزا فيه يعترف له أبو بكر بن الجد (ت586هـ) مع البراعة في التأدب،والمشاركة في قرض الشعر.."[2].

وقد تحدث عنه تلميذه أبو الربيع سليمان الكلاعي الحافظ (624هـ)، حديثا يبرز تمكنه من الفقه المالكي ، وتوسعه في الحديث ، والأدب... وجلالة قدره ، وسمو أخلاقه .. وعلو أسانيده..

قال: " ومن شيوخي : الفقيه المشاور الحافظ ابن زرقون ، وزرقون لقب لسعيد أبي جده ، لقب به لشدة حمرته ،كان شيخنا أبو عبد الله من جلة العلماء الحافظين للمذهب مع متانة الأدب ، وجلالة القدر ، وكرم الخلق ، وسعة الصدر ، واتساع جانب البر ، لقيته بإشبيلية[...] فقرأت عليه "الموطأ" عن الخولاني إجازة بسماعه من عثمان بن أحمد اللخمي، عن أبي عيسى الليثي ، وقرأته عليه بسماعه سنة عشرين على القاضي عبد الله بن أحمد بن عمر القيسي الوحيدي بسماعه من مولى الطلاع ، وقرأت عليه "التقصي" لابن عبد البر بسماعه بمراكش سنة (516 هـ) من موسى بن أبي تليد.

قال : سمعته منه سنة ستين وأربع مائة ، وقرأت عليه "المنتقى" لابن الجارود ، عن الخولاني ، عن أبي عمر الطلمنكي ، عن أبي جعفر بن عبد الله بن محمد بن نافع الخزاعي، عنه ، و"التيسير " قرأته عليه ، عن الخولاني ، عن المؤلف إجازة ، و"النوادر" للقالي قرأته عليه بقراءته على ابن عيدون ، وخلف بن فرتون ، عن الوزير أبي بكر عاصم بن أيوب ، عن ابن العزاب ، عن هارون ، بن موسى ، عنه ، وبإجازته من الخولاني ، أنبأنا الحسن بن أيوب الحداد الفقيه ، عن القالي ، وهذا نهاية في العلو" .

---

[2] ـ الديباج المذهب ، (ص: 286) .

و ليس غريبا أن يبلغ ابن زرقون تلك المكانة العالية، وقد تتلمذ وتربى على أيدي جهابذة العلم في زمانه، من أمثال أبي عبد الله أحمد الخولاني(ت 508هـ) ، الذي أخذ عنه موطأ مالك، وأجاز له وانفرد به، وأبي عمران موسى ابن أبي تليد (ت 517 هـ) ، الذي تفرد عنه أيضا ، وأبي بحر بن العاص، وفخر المغرب، القاضي عياض (ت544هـ)، الذي لازمه زمانا، وسمع منه الموطأ، واختص به[1] ، وأبي محمد بن عتاب ، وأبو عبد الله بن الحاج الشهيد.[2]

وقد حدث عنه خلق كثير ، منهم علماء كبار ، مثل أبي العباس ابن الرومية والحافظ ابن خلفون، وابن دحية، وآخرون[3] .

وبعد حياة حافلة علميا بالجد في الأخذ والعطاء، وعمليا بتولي مناصب مهمة في خدمة الأمة، توفي أبوعبد الله ابن زرقون ـ رحمه الله ـ في رجب من سنة 586هـ، عن عمر ناهز أربعة وثمانين سنة.

2. موضوع كتاب " الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار":

هو كتاب في فقه السنة ، جمع فيه ابن زرقون ـ كما هو واضح من خلال العنوان ـ بين كتاب " المنتقى " لأبي الوليد الباجي ، و " الاستذكار" لأبي عمر ابن عبد البر ، والكتابان شرحان لموطأ إمامنا مالك .

ويكفي أن ننظر إلى هذه الكتب الثلاثة ؛ لنعلم عن أي كتاب نتحدث ، فإن الموطأ من " أصح الكتب على وجه الأرض " والاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبدالبر النمري (463هـ) ، إمام عصره ،الذي قال فيه الباجي :" أحفظ أهل المغرب " و :" لم يكن

---

[1] ـ انظر "سير أعلام النبلاء". (21/147- 148). والديباج المذهب (1/285).
[2] ـ انظر "التكملة لكتاب الصلة" . (2/46).
[3] ـ انظر "معجم البلدان" ، (4/ 412) .

بالأندلس مثله في الحديث "[1]، واعترف ابن حزم ـ مع ما عهد عليه من الشدة ، والصراحة في الحق ـ في وصف كتابه " التمهيد " بقوله :" لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله ، فكيف بأحسن منه" ! [2]

وفي مكانة " الاستذكار " يقول ابن كثير في حديثه عن الإمام مالك :" وقد اعتنى الناس بكتابه ، وعلقوا عليه كتبا جمة ، ومن أجود ذلك كتابا التمهيد والاستذكار .."[3].

وأما المنتقى : فهو لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت 474هـ) أحد أئمة المسلمين ـ كما قال أبو علي بن سكرة الحافظ [4] ـ وتكفيه شهادة قرنه وخصمه العتيد ، ابن حزم الذي قال فيه :" لم يكن للمالكية بعد عبد الوهاب مثل الباجي " وقال :" لو لم يكن للمذهب المالكي غير عبد الوهاب ، وأبي الوليد الباجي لكفاه"[5] .

وقال المقري في حديثه عن مؤلفات أبي الوليد :" .. وكتاب شرح الموطأ وهو نسختان: نسخة سمّاها "الاستيفاء"، ثم انتقى منها فوائد سمّاها "المنتقى" في سبع مجلدات، وهو أحسن كتاب ألّف في مذهب مالك، لأنّه شرح فيه أحاديث الموطّأ، وفرّع عليها تفريعاً حسناً "[6].

ومما يدل على أهمية هذا العمل الذي قام به ابن زرقون ، أن همم علماء كبار انصرفت إلى القيام به ، فكتب في ذلك أبو الحسن علي بن عبد الله المالطي (ت 538هـ) ،

---

1 ـ انظر كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس (ص : 521) لابن بشكوال بعناية د صلاح الدين الهواري المكتبة العصرية ط 1 - 2003م/1423هـ .

2 ـ نفسه ص 522

3 ـ الباعث الحثيث شرح مختصر الحديث (ص :28) مؤسسة الكتب الثقافية .

4 ـ كتاب الصلة (ص : 176) .

5 ـ ترتيب المدارك (809/4) وتقريب المسالك للقاضي عياض تحقيق أحمد بكير ، ط وزارة الأوقاف 1967م/1387هـ ، ونفح الطيب للمقري (543/2) تحقيق د إحسان عباس ، ط دار صادر ، من 1968م .

6 ـ انظر نفح الطيب (543/2) .

وأبو عبد الله محمد الكومي التلمساني (625هـ) ألف في ذلك كتاب " المختار في الجمع بين المنتقى ، والاستذكار"[1].

3 ـ الفائدة المضافة من الجمع بين الكتابين:

قد ينظر البعض إلى العنوان "الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار" ، ويتساءل عن جدوى الجمع بين كتابين مشهورين موجودين ؟

والجواب ـ طبعا ـ لا تنجلي معالمه إلا لقارئ الكتاب، ومن هذه المعالم :

أ ـ أن الكتاب يجمع بين كتابين لعلمين من أعلام الشريعة الإسلامية ، كل منهما يتناول الموطأ شرحا ، واستنباطا ، متأثرا بالجانب الأبرز من ثقافته .

فابن عبد البر : علم من أعلام المحدثين ، حافظ المغرب ، صاحب " التمهيد لما في الموطأ من المعاني ، والأسانيد" الذي لم يعرف العلماء له نظيرا ، شرحه تغلب عليه الصناعة الحديثية ، فيكثر من إيراد الشواهد من السنة ، وأقوال الصدر الأول على المسائل الفقهية ، وقد يضعف ويصحح وينتقد..

وأبو الوليد الباجي : علم من أعلام الفقه وأصوله ، وهو صاحب كتاب " الإحكام في أصول الأحكام" و"الإشارات في الأصول" ، " والحدود "، و"المنهاج في ترتيب الحجاج" ، فنجده يستدل و يورد الأشباه والنظائر ، ويلحق الفروع بالأصول ، ويفترض ويقارن ... وهو في كل ذلك واقع تحت تأثير المنهج الأصولي ، والفكر الجدلي.

هذا، مع ما يضيفه ابن زرقون الفقيه القاضي ، الخبير بآراء علماء المذهب المالكي ، والذي " أنفق عمره في إسماع الحديث ، وتدريس المذهب المالكي "[1].

---

[1] ـ انظر مقدمة تحقيق كتاب " فصول الأحكام " (ص : 116) لأبي الوليد الباجي للباتول بن علي ط وزارة الأوقاف المغربية سنة 1990م/1410هـ .

[1] ـ الذيل والتكملة (204/6) .

وقد كان للفقه تأثير كبير على ثقافة ابن زرقون ، حتى إنه في أكثر لحظات الانفعال الوجداني ، وساعة الذروة العاطفية، لحظة التعبير الشعري ، لا يستطيع أن يسافر بعيدا عن الحقل الفقهي ، يقول :[2]

أقول لشادن في الحسن فرد ... يصيد بلحظه قلب الكمي

ملكت الحسن أجمع في قوام ... فأد زكاة منظرك البهي

وذاك بأن تجود لمستهام ... بريق من مقبلك الشهي

فقال أبو حنيفة لي إمام ... فعندي لا زكاة على الصبي

فهذه المواهب ، والطاقات العظيمة ، لا شك أنها إذا تعاضدت ، وتظافرت على شرح كتاب من حجم " الموطأ " ومكانته، ستنيره ، وتنير به أيما إنارة ؛ فيكون الكتاب في النهاية ، شرحا ثالثا للموطأ ، مستمدا من أبحر ثلاثة.

ب ـ ابن زرقون " الكاتب المجيد " ـ كما وصفه المراكشي ـ[3]، الخبير بفن الجمع بين الكتب[4] ، حاول في جمعه أن يختصر المضمون ، ويتفادى التكرار ، والحشو في العبارة، مما يشعر القارئ بأن الكتاب نسيج واحد فيكون قارئا للكتابين في وقت أقل ، ومجهود أخف، والاختصار ـ كما هو معلوم ـ من دواعي التأليف المعتبرة.

ج ـ الأنوار ، يمكن اعتباره ـ أيضا ـ شرحا للاستذكار والمنتقى ؛ لأنه لا ينقل دائما عبارات الكتابين بلفظهما ، بل يتصرف في العبارة حسب فهمه ، مما يقرب المعنى ، ويضبط الغزى ، وهذا كثير في الكتاب

---

[2] ـ نفسه (206) .
[3] ـ نفسه (ص:204) .
[4] ـ د سبق القول بأنه جمع بين سنن أبي داود ، وجامع الترمذي.

ج ـ ابن زرقون له حضور رغم قلته نسبيا ، إلا أنه مهم في ما يضيفه من فوائد فقهية، وقد عبر المراكشي عن جانب من جوانبه بقوله :" ... وتمم فيه ما رأى تتميمه ، واستدرك ما اقتضى نظره استدراكه"[1] ، ويمكن إختصار هذا الحضور في النقط التالية :

* الزيادات التي يضيفها على ما ورد في الكتابين ، وهي إما أن تكون:

ـ مكملة لنقص : كالنقص الحاصل للباجي حين ذكر في طلاق البتة إذا نوى الرجل واحدة في غير المدخول بها، فهل ينوي أو لا ؟ وأورد روايتين ، إحداهما : لا ينوي ، وتلزمه الثلاث، وبه قال سحنون، وابن حبيب، والرواية الثانية : إنه لا ينوي، وبه قال مالك[2] ، " فأضاف ابن زرقون :" وبه قال ابن الماجشون "□.

ـ أو الإتيان بما هو أولى : من ذلك إيراد المشهور من أقوال علماء المذهب المالكي ، واختلافهم في مسألة من المسائل ، قبل إيراد أقوال علماء المذاهب الأخرى ، ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ اختلاف العلماء في لفظ :" حبلك على غاربك" إن خاطب به الرجل زوجته ، فأورد ابن عبد البر أقوال أبي عبيدة ، وأبي ثور، والشافعي ، وأبي حنيفة .. ، لكن ابن زرقون لم ينتقل إلى أقوال غير المالكية حتى أورد أقوال كبار علماء المذهب: ابن المواز ، وأبي عمران ، واللخمي ، وابن عبد الحكم[3].

ـ أو إثراء لمسألة ، فيكون الكاتبان قد أتيا بما يكفي من أقوال علماء المذهب ، فيضيف ابن زرقون أقوالا أخرى ، إثراء للموضوع.

ـ أو ردا على قول يرى خلافه : وهذا كثير في الأنوار ، وتتجلى فيه شخصية ابن زرقون بدقة ، فلا يتردد بنسبة الوهم والخطأ والغلط ... إلى أي من العالمين : ابن عبد البر ،

---

[1] ـ ذيل والتكملة (204/6) .
[2] ـ المنتقى (191/5 – 192) ـ تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
[1] ـ الأنوار نسخة الخزانة العامة بالرباط ، ورقة : 143.
[3] ـ الأنوار ق: 143-144.

وأبي الوليد رغم مكانتهما ، وقد تناقل من جاء بعده هذه الردود ، واستوقفت العلماء لإعادة النظر والجد في البحث عن الحقيقة، ومن هذه الردود المبثوثة في كتب علماء المذهب:

+ يرد على أبي عمر ابن عبد البر في وجوب الزكاة في الفواكه كالإجاص والبطيخ وشبهه مما لا ييبس، وجوز ، ولوز ، وبندق وشبه ذلك ، قال أبو عمر : " لا زكاة باتفاق مالك وأصحابه " ، قال ابن زرقون :" أظنه لم ير قول ابن حبيب في إيجابه الزكاة في ذلك كله "[1] .

+ قال أبو عمر في وقفته مع مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين مرت به غنم الصدقة فرأى فيها شاة ذات ضرع :"ما هذه"؟

فقالوا: من غنم الصدقة.

فقال:" ما أعطى هذه أهلها وهم طائعون"[2].

قال أبو عمر : " إنما أخذت ـ والله أعلم ـ من غنم كلها لبون ، كما لو كانت كلها مواخض ، أخذ منها ؛ لم يأمر عمر بردها " ورده ابن زرقون بأن :" مشهور المذهب أن الساعي لا يأخذ منها ، ولربها أن يأتيه بما فيه وفاء" [3].

+ ورد على الباجي في سجدة التلاوة ، حين أورد الباجي الحديث الذي رواه عقبة مرفوعا :" في الحج سجدتان ، ومن لم يسجدهما ، فلا يقرأهما ".

قال الباجي :" يريد فلا يقرأهما إلا وهو طاهر ، والتعلق به ليس بقوي ؛ لضعف إسناده ".

ورده ابن زرقون بأن :" ابن حنبل احتج به ، وهو أعلم بإسناده "[1].

---

[1] ـ شرح الموطأ لمحمد عبد الباقي الزرقاني (182/2) دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط 1 س 1411هـ .

[2] ـ " الموطأ " (ص : 267) باب النهي عن التضييق على الناس في الصدقة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي ، مصر.، وسنن البيهقي (158/4) تحقيق محمد عبد القادر عطا دار الباز مكة المكرمة س 1414هـ 1994م ، ومصنف ابن أبي شيبة (362/2) تحقيق كمال الحوت ، مكتبة الرشد الرياض ، ط 1 .

[3] ـ الزرقاني (176/2) .

[1] ـ الزرقاني (28/2) .

+ قال الباجي : " ووقع لابن القاسم أن من أحدث في آخر صلاته أجزأته ".

قال ابن زرقون : " وهذا مردود نقلا ، ومعنى ؛ أما نقلا ، فلأن المنقول عن ابن القاسم إنما هو في جماعة صلوا خلف إمام فأحدث إمامهم ، فسلموا لأنفسهم ، فسئل عن ذلك ، فقال : " تجزئهم صلاتهم" ، أي تجزئ المأمومين فقط ، وأما معنى، فلأن الأمة على قولين : منهم من يرى لفظ السلام بعينه ، كمالك، ومنهم من لا يراه ، ولكن شرط أن ينوي بكل مناف الخروج من الصلاة ، أما ما حكاه الباجي من إطلاق كلامه ، فهو خلاف ما عليه الأمة " قال الدسوقي : " وقبل ابن عبد السلام كلام ابن زرقون هذا"[2] .

هذه بعض الآراء التي اعتبرها العلماء ، اقتصرت منها بهذه الأمثلة ، وإن كانت قليلة ، فهي كافية لتدلنا على مكانة الرجل العلمية ، وحضوره القوي في كتابه الأنوار ، فلم يبنه على النقل فقط ، بل على النقد أيضا.

د ـ الكتاب : يعتبر نسخة أخرى من نسخ الاستذكار والمنتقى ، مكتوبة بعناية ابن زرقون ، العالم والفقيه الكبير ، ولا بد من مراعاتها في تحقيق الكتابين ، وفهمهما ، ويتضح هذا في حجم الأخطاء التي يجدها القارئ للكتابين ، بعد مقارنتهما مع كتاب الأنوار.

4 ـــ منهجه :

أ ـ اتبع ابن زرقون في تبويب كتابه " الأنوار" الطريقة نفسها التي انتهجها الإمام مالك.

ب ـ يأتي في صدر كل باب بما صدر به مالك ـ رحمه الله ـ موطأه من الأحاديث ، وأقوال السلف ، ولم يلتزم بإيراد جميع النصوص الواردة في الموطأ، بل يكتفي أحيانا بنص واحد.

[2] ـ حاشية الدسوقي على شرح الدردير (241/1) دار الفكر ـ بيروت .

ج ـ وفي جمعه بين الكتابين ، يبدأ بما أورده ابن عبد البر في الاستذكار من تعليقات حول حديث الباب ، وغالبا ما يكون منصبا على الجوانب الحديثية ، من تعريف رواته ، أو ذكر شواهد له ، أو تخريجه من المصادر الحديثية الأخرى ، أو التعريف بمن ورد اسمه في الحديث من الصحابة.. وغير ذلك ، وقد يبدأ مباشرة بإيراد الأقوال الفقهية حول موضوع الباب.

ثم يردفه بأقوال الباجي ، وغالبا ما يبدأ بشرح الكلمات الواردة في النص لغة ، ويوضح ما يفترض فيه وجود اللبس .

ثم بعد ذلك يعقب بينهما حسب مقتضى الحال.

د ـ يختصر العبارة ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ويتجلى منهجه هذا في أمور كثيرة منها:

• يحذف سند النصوص الحديثية ، والأقوال المسندة إلى أصحابها ، وسواء في ذلك أحاديث الباب أو غيرها ، ويكتفي بالقائل المباشر ، أو الراوي عن القائل مباشرة، أو يبدأ في سرد الحكاية مباشرة ، أو يروي بصيغة التمريض ، فيقول ـ مثلا ـ : قال مالك ، أو قال ابن المسيب ، أو قال ابن عمر ، عن ابن عباس ، أو قال رجل لابن عباس، أو كتب إلى عمر ، أو قيل ..

• إذا أورد ابن عبد البر حديثا من الأحاديث بطرق متعددة ، يكتفي بقوله ـ مثلا ـ : « وذكر فلان (قاسم بن أصبغ) من طرق فلان (سلمة بن صخر) »[1] .

• إذا بدا له أن دليلا ما كان كافيا ، يكتفي به ، ولا يضيف أدلة أخرى ، سواء كانت نقلية أو عقلية ، والأول كثير ، ومن نماذج الثاني حذفه قول الباجي ـ بعد إيراد ما روي عن ابن عباس من أنه أفتى بلزوم الطلاق الثلاث لمن أوقعها مجتمعة، ورد بذلك قول من

[1] ـ الاستذكار (122/16 – 123) تحقيق عبد المعطي القلعجي دار قتيبة ، ط 1 . والأنوار ق 172 .

قال بغير ذلك ـ :" ودليلنا من جهة القياس أن هذا طلاق أوقعه من يملكه ؛ فوجب أن يلزمه أصل ذلك إذا أوقعه مفرقا " [2] .

• حذف الروايات الواردة لبيان اختلاف اللفظ في حديث واحد، ويكتفي برواية واحدة، مثل حديث : " حق المسلم على المسلم سبع ـ ست ـ خمس " فأثبت " ست " وأسقط سائرها[3] ؛ وفي هذا بيان لاختياره.

• إذا وردت في الكتابين قصتان ، لهما نفس الدلالة والمعنى ، يكتفي بواحدة ، وقد يشير إلى الأخرى ، أو يختصرها ، ومثال ذلك : قصة المرأة التي تسرت في عهد عمر بن الخطاب [4] .

• إذا كانت النصوص أو الأقوال أو المعاني مذكورة في الكتابين جميعا ، فإنه يقتصر على ذكره مرة ، وينسبه إلى أحدهما فقط .

• إذا تكررت العبارات ، أو المعاني في أحد الكتابين ، يذكره مرة واحدة ، ويقول في المرات الأخرى ـ مثلا ـ : « قد تقدم هذا المعنى »[5].

• إذا تعدد الأئمة القائلون بقول واحد ، فإنه يكتفي بذكر بعضهم ،ويحذف سائرهم ، وذلك حين لا يرى ضرورة لذكرهم جميعا، كحذف عثمان البتي ، وابن شهاب ، وعطا ، والحسن.. ضمن القائلين بأن الرجل إذا كان له أربع نسوة فيطلق إحداهن البتة ، إنه يتزوج في العدة إن شاء.[1] وهذا يتكرر باستمرار .

• غالبا ما يحذف الكلام التعليلي التوجيهي ، الذي توجه به الأحكام ، وكان الباجي أكثر ميلا إلى توجيه الأحكام ، وقد يستغرق توجيهه لحكم ما أكثر من صفحتين ،

---

[2] ـ المنتقى(185/5) . وانظر للورقة 140 من الأنوار نسخة الحمزوية.
[3] ـ انظر الاستذكار (16/ 1364-365)، الأنوار ق 135 .
[4] ـ الاستذكار (318/16) .
[5] ـ المنتقى (171/5) الأنوار ق 172 .
[1] ـ الاستذكار (317/16) الأنوار ق 136 .

كما نجد في توجيهه لقول مالك فيمن قال : " أنت علي حرام " حيث استغرق من كتاب المنتقى من الصفحة رقم 196 إلى الصفحة 199 ، وأسقطه ابن زرقون كله.

- يحذف بعض ما يورده ابن عبد البر من نقد الأسانيد ، والحديث عن الرجال [2] .
- قد يحذف ما يمهد به أحد الشارحين للجواب عن مسألة من المسائل ، كطرح سؤال مثلا .
- يحذف أسماء العلماء المشهورين ، ويكتفي بكناهم ، أو العكس ، أو يحذف الاسم ، ويكتفي بالنسبة ، فنجد أحمد بن حنبل في المنتقى ، أو الاستذكار ، يكتبها " ابن حنبل " ، أو الليث بن سعيد ، تصير " الليث " وعثمان البتي ، تصبح " البتي "، وهذا متكرر في كل الكتاب.
- يحذف بعض الزيادات التي تعتبر استطرادا ،لا حاجة إليها في خدمة الموضوع، مثل حذفه اسم الطعام الذي يصنع عند بناء الدار ، في حديثه عن الوليمة.
- حذف بعض العبارات الدالة على درجة اقتناع أحد الشارحين بكلامه في مسألة من المسائل ، كقول ابن عبد البر ـ مثلا ـ " معناه عندي ، والله أعلم "[3] .
- يحذف عبارات الترضية ، والترحم (رضي الله عنه) ، و (رحمه الله).
- يحذف عبارات التحلية والتعظيم .

هـ ـ اختار الحروف (ع ـ د ـ م) لينتقل بها بين كلام الشارحين ، وما يضيفه من زيادات وتعليقات ، فيرمز لابن عبد البر ب (ع) ، ولأبي الوليد الباجي ب (د) ، وللمؤلف ب (م).

---

[2] ـ انظر مثلا حديثه عن ابن عياش (16/344- 345) فقد حذفه ابن زرقون .

[3] ـ الاستذكار (16/369) الأنوار ق 136، و أعتقد أن هذا مما يحسن إثباته ، ونسبته إلى قائله ؛ لما له من دلالة تعين على اختيار المعنى المناسب.

و ـ أحيانا عندما يكون الخلاف بين العلماء متشعبا ، والأقوال كثيرة ، يضع بعد الانتهاء من سردها ، ملخصا لأقوالهم ، فيقول ـ مثلا ـ: » ويتحصل من هذه الأقوال كذا «.

ز ـ يقدم ويؤخر بين العبارات داخل الفقرات ، وبين الفقرات داخل الأبواب ، وهذا كثير جدا ، خاصة في تعامله مع "الاستذكار"، وقد يأخذ كلاما من باب ، ويدمجه في باب آخر، ومثال ذلك : أخذه كلاما من باب الظهار ، وإدخاله في باب الإيلاء[1] .

5 ـ مصادره :

مصادر ابن زرقون عديدة ومتنوعة وغنية ؛ فهي من حيث الكم كثيرة ، ومن حيث النوع ، يمكن تقسيمها عدة تقسيمات ، منها كتب الأمهات كالموطأ ، والمدونة ، والأسدية ، ومنها شروحهما ، ومنها كتب المذهب المالكي ، وكتب المذاهب الأخرى ، منها مطبوعة ، ومنها مخطوطة، ومنها كتب وصلت إلينا ، ومنها كتب مفقودة ، إلى غير ذلك من التقسيمات التي يمكن تفريع مصادر ابن زرقون إليها، ومن حيث الغنى ، فأغلبها من الكتب المشهورة والرائدة ، والمشهود لها بالصدارة، وابن زرقون على غرار ابن عبد البر والباجي لا يصرح دائما بمصادره ، ففي بعض الأحيان يكتفي بعزو القول إلى صاحبه ، من غير ذكر مصدره في ذلك.

ومن المصادر التي صرح بها ، وكثر رجوعه إليها:

- الأسدية / لأبي عبد الله أسد بن الفرات (ت 213هـ).
- الإشراف/ للقاضي عبد الوهاب البغدادي (ت 422هـ) .
- الأم / لمحمد بن إدريس الشافعي (ت 204هـ) .
- الإملاء/ لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الصاحب (ت 182هـ) .
- التفريع/ لأبي القاسم عبد الله ابن الجلاب (ت 378هـ) .
- التلقين / للقاضي عبد الوهاب .

[1] ـ انظر المنتقى (252/5) و (247/5)، و الأنوار ق 162 .

- الزاهي / لمحمد بن القاسم بن شعبان (ت 355هـ) .
- شرح الرسالة/ للقاضي عبد الوهاب .
- العتبية / لأبي عبد محمد أحمد العتبي (ت 255هـ).
- العين/ للخليل بن أحمد الفراهدي (ت 170هـ) .
- المبسوط/ للقاضي إسماعيل بن إسحاق البغدادي (ت 282هـ) .
- المجموعة/ لابن عبدوس محمد بن إبراهيم (ت 260هـ) .
- مختصر/ لأبي محمد عبدالله ابن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ) .
- المختصر الكبير/ لأبي إبراهيم المزني (ت 246هـ) .
- مختصر ابن عبدالحكم (ت 210هـ).
- مختصر ما ليس في المختصر / لابن شعبان .
- المدونة/ لسحنون عبد السلام بن سعيد (ت240هـ) .
- المعونة/ للقاضي عبد الوهاب البغدادي .
- المنتخب لابن أبي زمنين (ت 399هـ) .
- الموازية/ لمحمد بن إبراهيم ابن المواز (ت 281هـ) .
- الموطأ/ للإمام مالك رضي الله عنه .
- النوادر/ لأبي محمد ابن أبي زيد القيرواني .
- الواضحة/ لعبد الملك بن حبيب (ت 238هـ) .

هذه هي المصادر التي ذكرها المؤلف بأسمائها ، وأما المصادر التي لم يذكرها بالاسم ، فأذكر منها على سبيل المثال : مؤلفات محمد بن يوسف البويطي، وأبي إسحاق إبراهيم بن مزين ، يقول :" كتاب ابن مزين " ، وابن وضاح ، وأبي العباس أحمد ثعلب، وأبي مطرف

القنازعي ، وأبي الحسن ابن القصار ، والإبهري، وابن العطار ، وغيرهم من أصحاب المصنفات التي كانت بين يدي ابن زرقون، وهو يخط كتابه "الأنوار".

هذه وقفة قصيرة مع كتاب ابن زرقون " الأنوار في الجمع بين المنتقى ، والاستذكار " ، وأقول : وقفة ؛ لأنها لم توفه من الدراسة ما يستحقه ، إذ كان المقصود منها هو لفت الأنظار إلى مكانة هذا الكتاب ، في انتظار خروجه محققا ، ومدروسا دراسة أكاديمية وافية إن شاء الله ، مع دعوة ضمنية إلى الباحثين ، للمزيد من العناية بالتراث الفقهي المالكي المغربي.

لائحة المصادر والمراجع

- ـ فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام" لأبي الوليد الباجي ، تحقيق : الباتول بن علي ط وزارة الأوقاف المغربية س 1990م/1410هـ .
- ـ " الموطأ " للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، مصر .
- ـ " نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب" للمقري تحقيق ، د إحسان عباس ، ط دار صادر ، س1968م .
- ـ "الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار " لابن زرقون الإشبيلي النسخة الحمزوية .
- ـ الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار.." لأبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري تحقيق عبد المعطي القلعجي دار قتيبة.
- ـ الباعث الحثيث شرح مختصر الحديث ، أحمد شاكر، مؤسسة الكتب الثقافية .
- ـ التكملة لكتاب الصلة لأبي عبد الله القضاعي ، تحقيق عبد السلام الهراس ط دار الفكر بيروت س 1995م .
- ـ الديباج المذهب ،دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، لأبي عبد الله المراكشي ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ـ بيروت .
- ـ السنن الكبرى للبيهقي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الباز مكة المكرمة س 1414هـ 1994م .
- ـ الصلة في تاريخ علماء الأندس" لابن بشكوال بعناية ، تحقيق صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، ط 1 2003م/1423هـ .
- ـ المنتقى ـ تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ـ الوفيات للقسنطي تحقيق عادل نويهض ، دارالآفاق الجديدة بيروت، س 1978 ط2.
- ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض تحقيق أحمد بكير ، ط وزارة الأوقاف 1967م/1387هـ .
- ـ تكملة الإكمال لأبي بكر محمد البغدادي تحقيق عبدالقيوم عبد الربيب ، جماعة أم القرى ، مكة ط 1 س 1410هـ
- ـ حاشية الدسوقي على شرح الدردير لمختصر خليل ، دار الفكر ـ بيروت .
- ـ سير أعلام النبلاء للذهبي تحقيق الأرناؤوط ، والعرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ـ ط1413هـ .
- ـ شرح الموطأ لمحمد عبد الباقي الزرقاني ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط1 س 1411هـ .
- ـ مصنف ابن أبي شيبة تحقيق كمال الحوت ، مكتبة الرشد الرياض ، ط 1 .
- ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ، دار الفكر ـ بيروت .